**المحاضرة الثانية : فلسفة التربية عند بستالوزي (زوريخ 1746 – 1827)**

1. مقدمة:

حظي الفكر التربوي  وتطوره باهتمام كبير، ليس إلا لأنه يكرس القسم الاجتماعي ويحافظ على الدعامات الأساسية للوجود الإنساني وتطوره، كما يرسم معالم المستقبل ويساهم في بنائه. وقد حاول بستالوزي أن يرسم طريقة ومنهجا للتربية الحديثة متأثرا بفلاسفة التربية الذين سبقوه لاسيما روسو وأفلاطون، كما تأثر بوفاة أبيه وتكفل أمه بتربيته وكذلك بالتربية الدينية التي تلقاها من جده القسيس الذي كان يعيش في الريف حياة متواضعة، وهناك أحب الأطفال الفقراء وأسس لهم ملجأ خيريا في منزله.

1. نظرية بستالوزي في التربية:
2. تربية ابنه: سجل بستالوزي في كتابه "يوميات أب" يوميات عنايته بابنه بتطبيق مبادئ "جان جاك روسو". إن ابنه يعقوب مثل إميل في سن 11 لا يعرف كيف يقرأ أو يكتب. كانت أفكاره التربوية قائمة على: الاهتمام بالأشياء قبل الألفاظ وحدس الأشياء الشخصية، والقيام بقليل من التمرينات على المحاكمة والأخذ بعين الاعتبار قوى الطفل وقدراته والعناية بحريته وكسب طاعته، والاستمرار في روح المرح والسعادة في جو التربية. هذه المعلم الرئيسية للتربية التي قدمها بستالوزي لابنه. عانى منها الطفل ولكن الإنسانية أفادت منها كثيرا، ومذاك تكونت مبادئ طريقته، وامتاز عن روسو بأنه أحب ولده الوحيد ورباه.
3. مدرسة نويهوف Neuhof: إن أول وآخر ما أنشأ بستالوزي من مؤسسات هي المدارس للأطفال الصغار وقالت عنه مدام دي ستايل Madame de stael: "علينا أن نعتبر مدرسة بستالوزي مقصورة على طور الطفولة والتربية التي يقدمها تربية موجهة إلأى عامة الناس". لقد اعتبر بستالوزي هذه المدرسة تجربة في التربية الخلقية والمادية عن طريق العمل والنظام والتعليم وانحصر النشاط الفكري فيها على تمارين في اللغة والغناء والقراءة والتوراة، ومعظم الوقت خصص للعمل الزراعي وعلى الرغم من التضحيات التي قدمها لم تنجح خطته الإنسانية لأسباب ذاتية وموضوعية.

بعد هذه التجربة (الصدمة) لجأ إلى الكتابة فظهر مؤلفه "أمسيات ناسك" عام 1780 هاجم فيه أسلوب التعليم المصطنع وقدما حكما لنهضة الشعب عن طريق التربية وأصر على أن التربية الباطنية تنمي الروح عن طريق إثارتها من الداخل حيث يقول:

* "إن المدرسة دوما تجعل نظام الألفاظ قبل نظام الطبيعة الحرة
* إن البيت هو أساس تربية الإنسانية.
* أيها الإنسان: في داخل نفسك، وفي الإدراك العميق لقدرتك تثوي الوسيلة التي خلقتها في الطبيعة من أجل تطورك ونموك"[[1]](#footnote-1)

وفي عام 1781 بدأ بنشر الجزء الأول من كتابه "ليونارد و جيرترود" وهي نوع من القصص الشعبي تمثل فيه جيرترود آراءه حول تربية الأطفال، وفي سنوات 1783، 1785، 1787 صدرت الأجزاء الأخرى، وفي هذا الكتاب يؤكد فكرة أساسية من أفكاره التربوية وهي وضع تربية الشعب في أيدي الأمهات، فالبطلة أصلحت قرية بكاملها بمعاملة الناس كما لو أن المسيح (ع) هو الذي يعملهم وبتعليم أطفالها بمراعاة غرائزهم واستعداداتهم الفطرية.[[2]](#footnote-2)

1. ملجأ الأيتام في ستانتز Stanz 1798-1799:

اتبع بستالوزي أسلوبا خاصا عندما كان يدير ملجأ للأيتام في ستانتز في سويسرا، حيث يستمع من الساعة السادسة إلى الثامنة صباحا ومن الساعة السابعة إلى الثامنة مساء إلى ما تمكن من التلاميذ من حفظه، ويخصص ما تبقى من الوقت للعمل اليدوي والتلميذ يرسم ويكتب ويعمل حتى في الساعات المخصصة للدروس، ولفرض النظام في هذا الملجأ لجأ إلى "النغم" والقراءة الإيقاعية، حيث يقول: "لقد وجدت أن اللفظ الموقع يزيد من الانطباع الذي يتركه الدرس" وبما أن التلاميذ كانوا لا يعرفون في البداية شيئا كان يدرسهم المبادئ الأولية ويدربهم عليها لمدة طويلة حتى يتمكنوا من إتقانها، وبسط الأساليب، وكان يبحث عن نقطة الانطلاق في كل فرع من فروع التعليم تلائم مدارك الطفل التي هي في بدايتها، كما كان يعلم التلاميذ في وقت واحد (80 تلميذا) يرددون كلام معلمهم بصوت واحد، وفي نفس الوقت كان يلجأ إلى التعلم المتبادل أي أن التلاميذ يعلمون التلاميذ، يقترح عليهم التجربة وهم يجربون، وكانت القراءة تمتزج بالكتابة، وكان يدرس التاريخ والجغرافيا على شكل محادثة.

من الأمور التي تحسب لبستالوزي قبل غيره اهتمامه بتغذية المشاعر الخلقية وقوى النفس الداخلية، فكان يجيب نفسه إلى الطلاب ويوقظ بينهم مشاعر المحبة الأخوية خلال اختلاطهم اليومي، ويتناول مفهوم فضيلة من الفضائل قبل صياغة مبدئها. كما كان يقدم دروسا خلقية عن طريق الطبيعة المحيطة بهم وعن طريق العمل الذي يكلفهم به.

حصل بستالوزي على نتائج مدهشة حيث تقدم تلاميذه بسرعة وكأنهم خلقوا من جديد عندما أدركوا القوى الكامنة فيهم بعدما كانوا يجهلونها وبما لديهم الإحساس بالنظام والشعور بالجمال وفارقهم الشعور بالإعياء الملازم لأغلب المدارس فنجحوا وكانوا سعداء. يقول روجي دوغيمبس Roger de guimps:"لقد نشأت المدرسة الابتدائية في القرن 19 من مغامرة بستالوزي في ستانتز "

1. طرق التعليم: حاول بستالوزي أن يجعل التعليم آليا لتبسيط قواعده إلى الحد الذي يمكن أي أب أو أم (وإن كانا جاهلين) أو معلم من أم معلم من استخدامها أي أنه آمل أن ينظم آلة تربوية تعمل من تلقاء نفسها لحسن تصميمها، فيقول: "اعتقد أننا لا يحق لنا أن نحكم بتقدم ذي بال في تعليم الشعب طالما لم نعثر بعد على أساليب التعليم التي تجعل المعلم، في التعليم الابتدائي على أقل تقدير، مجرد أداة آلية لطريقة تدين بنتائجها لطبيعة عملياتها لا إلى موهبة من يستخدمها، إن أي كتاب مدرسي لا قيمة له إلا إذا استطاع أن يستخدمه المعلم الذي لم يلق توجيها وتعليمات كالمعلم الذي تلقى مثل هذه التوجيهات"
2. المنهج: يأخذ بستالوزي بالمنهج السقراطي ويشترط لنجاحه أن يكون للمعلم قدرة غير عادية فيقول: "إن الذكاء السطحي غير المثقف لا يستطيع أن يبلغ الأعماق التي \*\*\*\*\* مثل سقراط ينابيع الذكاء والحقيقة"
3. التمرينات الحسية: أعطى بستالوزي أهمية كبيرة للحدس الحسي فجعل من الملاحظة المباشرة للأشياء مادة الدرس وقوامه وكان ذلك بعد أن لاحظ أثناء درس لوصف صورة شباك أن أحد التلاميذ كان مستغرقا في الشباك الحقيقي للغرفة بدلا من أن ينظر للصورة. حينها تخلى عن رسومه واتخذ الأشياء نفسها موضوعات للملاحظة.[[3]](#footnote-3)
4. الخاتمة:

يمكن في الأخير إيجاز مبادئ التربية الرئيسية عند هذا المعلم العظيم كما وصفها "مورف Morf" وهو من الذين شاهدوا حياته؛ في:

1. أساس التعلم هو الحدس الحسي
2. اللغة يجب أن ترتبط بالحدس الحسي.
3. فترة التعليم ليست فترة المحاكمة والنقد.
4. التعليم في كل فرع يبدأ بأبسط عناصره ثم يتدرج مع تطور الطفل ونموه.
5. يستمر الطفل في أخذ المعرفة عند كل جزء حتى يتم.
6. يجب مراعاة تبعية التعليم لنظام النمو الطبيعي.
7. اعتبار فردية الطفل أمر مقدس.
8. غاية التعليم الابتدائي زيادة قوى الطفل العقلية وتنميتها وليس الحصول على المعرفة والمواهب.
9. يجب اقتران القدرة على العمل بالحكم والمعرفة أي بالقدرة النظرية.
10. العلاقة بين التلميذ والمعلم قائمة على المحبة.
11. كل فرع من فروع التعليم يجب أن يخضع بهدف التربية الأسمى.[[4]](#footnote-4)
12. الطرائق التربوية: أوصى بستالوزي ببعض الطرائق المدرسية التي استخدمها وأوصى به:
13. إن الطفل يجب أن يتعلم كيف يتكلم قبل أن يتعلم كيف يقرأ.
14. إن الطفل يجب أن يرسم قبل أن يكتب، وأن تكون كتاباته الأولى على الألواح الحجرية، كما يجب أن يستفيد من الأحرف المتحركة الملصقة على لوحة.
15. في دراسة اللغة يجب مراعاة نموه الطبيعي حيث تكون البداية بدراسة الأسماء ثم الصفات وفي الأخير الجمل.
16. لتعليم مبادئ الحساب يجب الاستعانة بالأشياء المادية المحسوسة أو بخطوط ترسم على السبورة كما يمكن اللجوء إلى الحساب الشفوي.
17. يجب على التلميذ أن يدرك الأعداد كمجموعة من الأشياء المادية أو الخطوط وليس كأرقام مجردة وهذا حتى يبني في ذهنه فكرة ثابتة وصحيحة عنها، لتعليمه عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة يمكن الاستعانة بلوحة ذات مربعات.
18. ليس عل التلاميذ أن يحفظوا عن ظهر قلب بل أن يعيدوا مع بعضهم البعض كل ما يلقيه المعلم. مدة الدرس ساعة تتبعها فترة قصيرة للراحة.
19. قرن العمل العقلي بالعمل اليدوي (عمل صناديق ورقية، الاشتغال بالحدائق وبعض الممارسات الرياضية) وتخصيص الساعة الأخيرة من كل يوم للعمل الحر يختاره التلميذ، وجعله يشعر بأنه يعمل من أجل نفسه.
20. إعطاء التدريب العسكري أهمية بتخصيص عدة ساعات في الأسبوع. [[5]](#footnote-5)

1. - 406. [↑](#footnote-ref-1)
2. - موسوعة [↑](#footnote-ref-2)
3. - عبد الله عبد الدايم: [↑](#footnote-ref-3)
4. - المرجع السابق، ص، ص 425، 426. [↑](#footnote-ref-4)
5. - المرجع السابق، ص، ص 426، 427 [↑](#footnote-ref-5)